الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بالقايد – تلمسان –

ملحقة الجامعية – مغنية –

قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس أدب عربي

الاتجاه الديني في الشعر الجزائري

أبو مدين شعيب التلمساني و محمد العيد آل خليفة نموذجين

*من إعداد الطالبة:

بويدو بشرى

* تحت إشراف:

د.بن عدي نورية

2014-2013

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و تقديـــر

بسم الله الرحمن الرحيم

*** و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنين***

الحمد لله الّذي هدانا لهذا ،و ما كنا لنهتدي لولا هدانا الله ، فنتقدم بالإكبار و الإجلال و الامتنان إلى الواحد الأحد ، الّذي أنعم علينا بنعمه وأنار لنا طريقنا ، و سدد خطانا في مراحل مشوارنا المعرفي ، و أعانني في علمنا هذا ، وجزيل الشكر للأستاذة المشرفة د . بن عدي نورية التي لم تبخل عليّ بنصائحها و توجيهاتها القيّمة و آرائها السديدة و ملاحظاتها الصائبة .

كما نتقدم بآيات الشكر و العرفان إلى الأستاذ زياني سمير.

الّ نتشرف به كعضو في لجنة المناقشة، وعلى ما يبديه من رأي سديد فيه .

كما لا يفوتنا أن نتقدّم بالشكر الجزيل إلى الأساتذة المحترمين الّذين رافقونا طيلة مشوارنا الدّراسي من الطور الابتدائي حتى الجامعة بتعليمهم و ثقافتهم وأمدّونا بيد العون .

إلى كل هؤلاء و إلى من ساعدنا في إنجاز هذا البحث نتقدّم إليهم بعظيم الشكر و الامتنان .

الإهـــــــداء

قال الله تعالى : " و قضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالولدين إحسانا "

اللهم علّمني بما ينفعني وانفعني بما علمتني و زدني علما .

الحمد لله الّذي أنار طريقي منذ بدايتي دراستي حتى نهايتها و خير السلام و أفضل صلاة على الرسول صلى الله عليه و سلّم .

أتقدم بثمرة عملي و خاتمة تخرجي إلى أعز ما في الوجود الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما .

إلى زينة الحياة و بهجتها و منبع الحنان و التسامحو التضحيةو رمز العطاء

*أمي الغالية *

إلى من شجعني و مدّني بالنصائح و الرعاية و كان سندي القويم طيلة مشواري الدراسي

*أبي العزيز *

إلى إخوتي الأعزاء حفظهم الله .

إلى رفيق دربي زوجي العزيز الغالي بوعلام الذي قدّم لي الكثير من العون

إلى النّفس البريئة ، قرة عيني إبني الغالي شهاب .

و لا أنسى أيضا مساندة أهل زوجي في هذه الفترة ، و إلى كل الرفاق و الأ حباب .

المـــقدّمة

الحمد لله العليم الذي خلقنا ولم يتركنا سدى و أنعم علينا بنعمة الوجود ثم بنعمة الإيمان و الهدى و أكرمنا بالرسول المصطفى محمد عليه أزكى الصلاة و بصحابته الطاهرين أهل السداد و الرشاد والقدوة رضي الله عنهم و على من أتبعهم إلى يوم الدّين.

أما بعد :

إنّ الدارس لشعر الجزائر يلاحظ أن معظم الشعراء الجزائريين ظهرت في كتاباتهم ميولا تهم الدّينية وتأثرهم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم و بالصحابة رضي الله عنهم و بمبادئ الإسلام و لعل هذا ما دفعني للبحث في هذا الموضوع و قد انطلقت من مجموعة من التساؤلات :

فما مدى التفاف الشعراء الجزائريين حول الدّين ؟ وهل استطاع هذا الشعر أن يعكس واقع المجتمع الجزائري ؟ وهل تختلف مضامين الشعر الدّيني في القديم عن نظيرتها في الحديث ؟ .

وقد حاولنا من خلال هذه الدراسة الإجابة على هذه التساؤلات متبعين في ذلك المنهج الوصفي و التاريخي و التحليلي. حسب ما اقتضته طبيعة الموضوع . وعليه قسمنا بحثنا هذا إلى :

فصل أول تحدثنا فيه عن الاتجاه الديني و أسبابه و عوامله وكذا ضبطنا فيه ماهية الشعر الصوفي .

و فصل ثان تطرقنا فيه إلى الحديث عن الشعر الديني في القديم و الحديث من خلال التطرق إلى نموذجين بارزين هما : أبو مدين شعيب التلمساني و محمد العيد آل خليفة .

وأتبعنا ذلك بخاتمة تضمنت حوصلة لأهم النقاط التي وقفنا عليها في موضوعنا معتمدين في ذلك على مجموعة من المصادر و المراجع في مقدمتها :التصوف في بلاد المغرب العربي ، دراسات في

الشعر الجزائري المعاصر لعمر أحمد بوقرورة ، الشعر الدّيني الجزائري الحديث لعبد الله الركيبي ، الشعر الجزائري الحديث لصالح الخرفي ،قضايا عربية من الشعر الجزائري المعاصر لعبد الله الركيبي.

و إن كان هناك من داعٍ لذكر الصعوبات فإنّنا نشير إلى صعوبة الحصول على بعض المصادر و المراجع خاصّة المتعلقة بالشيخ أبو مدين شعيبب .

هذا ما أمكننا بفضل الله ان نصل إليه ومنه نستمد العون و السداد .

التمـــــهـيد

إنّ الدّين بوصفه عاملا مؤثرا في الحياة قد أدى دورا هاما في حياة الشعب الجزائري سواء أكان على الصعيد السياسي أم الإجتماعي ولعل وقوف الشاعر الجزائري وقفة الهادي و المرشد و الموقد مستنيرا بمبادئ الإسلام وسيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم جعل من الشعر سبيلا للخروج ظلمة الجهل و الانحلال الخلقي الذين أفرزتهما الظروف التي عانت منها الجزائر في قبضة المستعمر.

و قد استمر هذا الدور إلى فترة متأخرة من فترات الوجود الاستعماري بالجزائر ،خاصة بعد اندلاع الثورة عام 1954م، والتي وجد فيها الشعر مجالا للتجديد سواء في الموضوع أو المضمون أو الشكل .

والشعر الجزائري الحديث يرتبط ارتباطا وثيقا بالدين سواءٌ ما كان بمفهومه التقليدي مثل الشعر الصوفي ،أو بمفهومه الجديد الذي ينظر إلى الدين نظرة واعية مدركة لأثره القومي في الوجدان الفرد و الجماعة ،و يفسره تفسيرا يلائم روح العصر و التقدم الإنساني .

على أن عامل الدين قد أدى دورا هاما في الحياة السياسية في الجزائر و ذلك بدفع الجماهير إلى أن تناضل ضد الأجنبي و ضد أطماعه و أهدافه الاستعمارية .

و الملاحظ أن الشعر الديني في الجزائر سار في اتجاهين مختلفين كلاهما تأثر بالواقع السياسي و الاجتماعي في الجزائر

فالأول تمثل في الهروب من الواقع ،أما الثاني فقد استعمل الدين كسلاح لمواجهة الواقع المر الذي عاشته الجزائر خلال فترة الإستعمار .

التمهيد

التمـــــهيد

إنّ الدّين بوصفه عاملا مؤثرا في الحياة قد أدى دورا هاما في حياة الشعب الجزائري سواء أكان على الصعيد السياسي أم الإجتماعي ولعل وقوف الشاعر الجزائري وقفة الهادي و المرشد و الموقد مستنيرا بمبادئ الإسلام وسيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم جعل من الشعر سبيلا للخروج ظلمة الجهل و الانحلال الخلقي الذين أفرزتهما الظروف التي عانت منها الجزائر في قبضة المستعمر.

و قد استمر هذا الدور إلى فترة متأخرة من فترات الوجود الاستعماري بالجزائر ،خاصة بعد اندلاع الثورة عام 1954م، والتي وجد فيها الشعر مجالا للتجديد سواء في الموضوع أو المضمون أو الشكل .

والشعر الجزائري الحديث يرتبط ارتباطا وثيقا بالدين سواءٌ ما كان بمفهومه التقليدي مثل الشعر الصوفي ،أو بمفهومه الجديد الذي ينظر إلى الدين نظرة واعية مدركة لأثره القومي في الوجدان الفرد و الجماعة ،و يفسره تفسيرا يلائم روح العصر و التقدم الإنساني .

على أن عامل الدين قد أدى دورا هاما في الحياة السياسية في الجزائر و ذلك بدفع الجماهير إلى أن تناضل ضد الأجنبي و ضد أطماعه و أهدافه الاستعمارية .

و الملاحظ أن الشعر الديني في الجزائر سار في اتجاهين مختلفين كلاهما تأثر بالواقع السياسي و الاجتماعي في الجزائر

فالأول تمثل في الهروب من الواقع ،أما الثاني فقد استعمل الدين كسلاح لمواجهة الواقع المر الذي عاشته الجزائر خلال فترة الإستعمار

الفصل الأول

المبحث الأول :

النزعة الدّينية في الشعر الجزائري

*أسبابها و عواملها

المبحث الثاني :

ماهية الصوفية و ظروف نشأتها

*الشعر الصوفي وأعلامه في الجزائر

المبحث الأول: النزعة الدينية في الشعر الجزائري

المطلب الأول: أسبابها و عواملها

لقد اتخذت المقاومة الجزائرية أشكالا مختلفة من الكفاح المسلح إلى التعبير بالشعر ،إلى التثبت بالدين ، بل الانزواء أحيانا و من هنا اختلطت هذه العناصر كلها لتعبر عن مفاهيم العصر وعن القيم التي سادت فيه – سياسية و أدبية و دينية – أثناء مقاومة الغزو الفرنسي ، و قد أدى الدين دورا كبيرا في السياسة و الأدب لأنه المحرك الأساسي للكفاح الوطني [1]

وربما كان لتلك النزاعات العنصرية التي صاحبت الغزو الفرنسي للجزائر أثرها أيضا ، في نظرة الشاعر للحياة ، جعله في كثير من الأحيان ينزع إلى الدين ، و يصدر عنه في رؤيته لقضايا عصره .[2]

أضف إلى هذا أن فكرة " لقومية " بمعناه الحديث لم تكن معروفة لدى الفرد العادي في الجزائر ، لم تكن مفهومة لدى أغلب السكان ، إصلاحيا على نحو له منهجه ومبادئه أهدافه الخاصة .

فارتباط الشعر بالفكر الإصلاحي جاء لظروف أحاطت بالأدب و الثقافة و بسبب عوامل أحاطت بالفكر و المجتمع و السياسة، فأثرت في الشعر ، ووجهته لخدمة هذا الفكر .

فلا عجب أن ألْفَينا كثيرا من الشعراء الملتزمين يظهرون في هذه الفترة ،و هم الّذين كانوا يقدّرون الكلمة حق قدرها ،فكانت تشاكه ، لديهم الطلقة الناريّة النّافدة إذ لم يجدوا لها سبيلا و هم الّذين كانوا ينحضِجُون ، على لغة أبي الدرداء ، من أجل أان يطرُدوا الإستعمار الفرنسي الجاثم على أجسامهم و

[1] :الشعر الدّيني الجزائري الحديث ، د. عبد الله الركيبي الشركة الوطنية للنشر و التوزيع –الجزائر– ط1،1981 ،ص14

[2]: المرجع نفسه ،ص:15

ألسنتهم و عقولهم و كرامتهم معا ، فهم لم يكونوا شعراء أو كتابا فقط ، و لكنّهم كانوا أدباء مضاف إلى ذلك النَّضْجُ عن المبادئ الوطنية و الدّينية العظيمة التي كانوا يتّخذونها مبادئ عليا يتمسّكون بها . [1]

و الملاحظ إلتفاف الأدباء الجزائريين حول فكرة الدين قد شكل دعوة و اتصالا مباشرا بالكتاب و السنة ، فقد بدأت المشاعر الصادقة و الآماني الوطنية ، تتجمع تنحفر في صورة (مدرسة حرة) أو

(منتدى ثقافي) أو جريدة وطنية أو (حلقة علم) خالصة لوجه الله .

و أيضا لا ننسى دور المراكز التعليمية بوسائلها المحدودة وثقافتها التقليدية التي لم تكن مؤهلة لتنهض بالأدب العربي في الجزائر ، و لكنّها كانت تولي اهتماما خاصا بالشعر ،فنشأفي أحضانها رواته و حفاظه ،و ناظموه أيضا وارتبط قول الشعر بطلاب المساجد و الزوايا يتنافسون في نظمه وانشاده .[2]

و قد اصطبغت هذه الأشعار بنوعية الثقافة التي كانت تزاول في هذه المراكز ، و هي ثقافة تدور في فلك العلوم الشرعية غالبا ، وانحصر هذا الشعر نتيجة تعلقه بالزوايا والمساجد في الأغراض الدّينية .

فتشابهت نصوصه فإذا هي من لون واحد ، وإذا هي في الأغلب الأعم تتّجه إلى مدح المشائخ و الكبراء و التغني بمآثر الأولياء و الصالحين وو التغزل في الذات الإلهية ،و التوسل بمدح الرسول صلى الله عليه و سلم وآل البيت ،و غيرها من الموضوعات التي لا تخرج عن النطاق الصوفي الدّيني.

كما كان لقيام (جمعية العلماء المسلمين) في مستهل القرن الماضي للإحتلال دورا بارزا في استقطاب النص الأدبي بمنابرها وصحافتها و تحديدا لملامحه . [3]

---

[1]: معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين ، د .عبد الملك مرتاض ، دار هومه للطباعة و النشر و التوزيع ، ت/ 2007 ،ص29/28

[2]: الشعر الدّيني الجزائري الحديث ، د. عبد الله الركيبي

[3]: الشعر الجزائري الحديث ،صالح الخرفي ، المؤسسة الوطنية للكتاب –الجزائر -،ت/1984 ، ص33

إرتباط الشعر بالفكر الإصلاحي :

لقد كان من الطبيعي أن يرتبط الشعر الجزائري الحديث بالفكر الإصلاحي ، لأن الذين دعوا إلى الإصلاح احتضنوا التراث و الدين و الأدب و اللغة و الثقافة العربية في الجزائر ،ومن ثم ازدهر الشعر في رحاب هذا الفكر ، و عبر عن أهدافه و مراميه .[1]

كما أن ظهور ما يسمى " بالحركة الإصلاحية في الجزائر" و التي أثمرت بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931 م ، و التي أصبحت تجمعا منظما يمثل "حزبا" عربيا إسلاميا ، و قد ساهم في توطيد العلاقة بين الفكر الإصلاحي و الأدب .

فالشعر الديني لم يولد مع (جمعية العلماء) و لا ولدت معها الفكرة الإصلاحية ، و إنما هو أسبق و جاءت الجمعية تجسيدا للفكرة في تنظيم محكم و سياسة ذكية ، و أبعاد مرموقة في محيط جزائري بالدرجة الأولى .[2]

والإصلاح الديني في هذه الثلاثينيات كان يمد هذه الرسالة بأقصى ما يمكن من جهد و تعتبر هذه الفترة أزهى الفترات نشاطا للحركة في هذا المضمار فكانت بذلك أغزر الفترات شعرا ،يسجل هذا النشاطّ .

و الشعر الذي ساده هذا التدهور العقلي في فهم الدّين ، و حقيقة مبادئه ، و جوهر تعاليمه ، و آلمته هذه القطيعة المريعة بين الإسلام و أبنائه ، لم يتردد في الإتجاه إلى منبعه الأصلي ، و الدستور

[1] : الشعر الدّيني الجزائري الحديث ، د. عبد الله الركيبيّ،

[2]: الشعر الجزائري الحديث ،صالح الخرفي ،ص/ 34

السماوي للإسلام ، فمن القرآن كان المنطلق الأول في صقل الأذهان الناشئة في المدرسة ، وعقول العامة في المحافل و المواسيم و استبعاد الغشوات المضللة ، وجعلها تتهافت على الهدي من وضوح تعاليمه ، وانجلاء سوره و أياته .[1]

يخاطب (محمد العيد) طلابه فيقول :

يَامَعشر الطلاب هل من آخد بالذكر أو متمسك بزمانـه

فتشرفو ا بالأخد من آدابـــه و تعرفوا بحلاله و حرامـــه

و لكل شيء في الحياة أذيـــة و أذية القرآن من أقوامـــه

عملوا على التخدير من أقوامه فكأنهم عملوا على إعدامه

هجروا مبادئـــه العلا و تنكبوا أحكامه و الخير في أحكامه [2]

[1]: المصدر السابق ،ص/48

[2] :ديوان محمد العيد ، مكتب الدراسات ،دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع عين مليلة –الجزائر– ت/ 2010 ،ص/86

المبحث الثاني:ماهية الصوفية و ظروف نشأتها

المطلب الأول: الشعر الصوفي و أعلامه في الجزائر

مفهوم الشعر الصوفي

إن التجربة الصوفية في عرف التراث الإسلامي بخاصة هي مجموعة من التجليات الوجدانية المؤيدة بأطوار روحانية يسلكها جملة من الشعراء الذين يجتازون مرحلة الزهد إلى مراحل تتدرج حتى تبلغ بهم مدارج السالكين الواصلين ، وفي إثر ذلك تتداخل العناصر التالية

أ-الحب الإلهي .

ب-التغني بالذات الإلهية و الفناء فيها .

ج-رؤية الجمال المطلق و تجليه في مظاهر الطبيعة و الكون .

هذه العناصر التي اجتمعت حولها تعريفات لا حصر لها ذكرها الأولون و نجملها في قول معروف الكرخي (ت 200هـ) :

"التصوف الأخذ بالحقائق و اليأس مما في أيدي الخلائق ".[1]

وقد تطور مفهوم الاصطلاحي لهذه التجربة الشعرية الصوفية حين أدخل الباحثون فيها معظم صيغ الشعر الغارقة في الوجدانية الرامزة ، فقالوا عن شخصية الشاعر قيس "بطابعها الجنوني إنما كانت خلقا صوفيا و رمزا للمحب ".[2]

[1]:دراسات في شعر الجزائري المعاصر(الشعر و السياق المتغير الحضاري) ،د.عمر أحمد بوقرورة –دار الهدى عين مليلة –الجزائر- للطباعة و النشر و التوزيع ، دط، ص 98

[2]:المصدر نفسه ، ص99

غير أن المفهوم الذي نرتضيه و يقبله النّص الأدبي الشعري في الغالب هو ذلك المفهوم البسيط المتعلق بالتصوف الإسلامي الذي يثور فيه الشاعر المتصوف على مفاهيم الدنيوية المادية السائدة ، و يحن إلى نموذج إسلامي عادل ، وفي ظل ذلك تسود بعض التجارب الغارقة في الصوفية . [1]

[1]: المصدر السابق ، ص 99

نشأتها و أعلامها :

إن التصوف في الشعر الجزائري هو ذلك اللون من القصائد التي أتجه فيها أصحابها إلى الحديث عن القضايا التي عرفت في الفكر الصوفي بوجه عام ، و الأدب و الشعر بوجه خاص ، مثل " الغزل الإلهي " و " الخمرة الإلهية ""وحدة الوجود " و " النور المحمدي " وما إلى ذلك من القضايا و الأفكار الفلسفية التي برزت في الفكر الصوفي .[1]

بعد ما دخلته تيارات فكرية كثيرة دخيلة على ما في الدين الإسلامي من بساطة ، و هذه القضايا لم تحدث في عهد الإسلام الأول ، الذي كان طابعه العام ، هو العمل " الدينامكي " الحي الذي يربط بين الدين و الحياة ، بين الواقع و التصور ، بين الطبيعة و ما وراءها ، بين المادة و الروح ، في التوازن بين الحياة و بين الآخرة و من ثمة كان الزهد و التقشف و الإعراض عن المادة ، وعن متاع الحياة الدنيا ، دون انعزال كل عنها أو تركها جملة .[2]

م من هنا جاز اعتبار كثير من الصحابة من الزهاد .لا من " المتصوفة " بالمعنى الذي أطلق مؤخرا على الطائفة التي أصبحت تعرف بهذا النعت ، ذلك أن فكرة الزهد تتنافى مع الإسلام و مبادئه .

و لكن الأفكار الفلسفية الأخرى مثل : الفناء و المشاهدة و التجلي و الإتحاد و الحلول ، هي التي كانت مثار جدل طويل ، و اعتبر من نادى بهاو قد أساء فهم الدين ، و أدخل فيه مصادر أجنبية عنه و عن منابعه الأصيلة .[3]

---

[1]: الشعر الدّيني الجزائري الحديث ، د. عبد الله الركيبيّ، ص 235

[2]: المصدر نفسه ،ص235

[3]:نفسه ، 235

وبما أن الشعر الجزائري هو جزء من هذا التراث الصوفي العريض فلا بد أن يتأثر بما فيه من أفكار و أساليب ، و أيضا بمصلحاته و بصوره ، و بموضوعاته و برموزه ، فهو امتداد له .

و لقد كان لسقوط الخلافة الإسلامية ، وما تبعه من انهيار في المجتمع العربي و الإسلامي ، و ما صاحب ذلك من فقدان الاستقرار المادي في الدنيا ، فانصرف الناس إلى الأخرى ، كان هذا السقوط بداية مرحلة طويلة للفكر الصوفي الذي أصبح غداء الناس من مختلف الطبقات .

و زاد من انتشاره حكم الأتراك الذي جنح إلى الاستبداد، مما يحتاج معه إلى أن يبعد الناس عن السياسة أو التفكير في واقعهم المؤلم ، فغرقوا في الزهد و التصوف ، مما شجع الطرق الصوفية على الانتشار في العالم الإسلامي بوجه عام .[1]

و لا تختلف الفترة التي حكم فيها الأتراك الجزائر كما ساد العالم العربي و الإسلامي من مظاهر التصوف و الإسراف في إدعاءات المتصوفة ، واعتناق ما جاء في شعر "ابن الفارض " من غزل صوفي أو تقليد "ابن عربي " في آرائه من "وحدة الوجود .

و قد ظهر المتصوفة في الجزائر قبل عهد الأتراك و أثناءه ، حيث ألفوا في التصوف شعرا و نثرا ، و تركوا تراثا ضخما في هذا الغرض ، و يمكن ذكر بعض الأسماء التي لعبت دورا بارزا في التصوف فكرا أو شعرا أمثال : "عبد الرحمن الثعالبي و " الشعراني " و "السنوسي " و من الشعراء البارزين أمثال : "ابن أبي حجلة " و " عفيف الدين التلمساني " و" التلمساني الأنصاري " و الشاعر المتصوف المشهور " أبو مدين شعيب التلمساني " .[2]

[1]: الشعر الدّيني الجزائري الحديث ، د. عبد الله الركيبيّ ،ص 238

[2]:المرجع نفسه ، ص 239

عوامل ازدهار الشعر الصوفي:

من البديهي القول أن و منطق التاريخ السائد أن تعود أصول التصوف الإسلامية إلى المشرق العربي إلا أن الحقيقة ، أثبتت أن بأن معظم التيارات الصوفية في المغرب العربي عموما و الجزائر على وجه الخصوص ، تمتد جذورها إلى مسلمي الأندلس عن طريق المغرب الأقصى .

وقد ازدهرت المدارس الصوفية مع بداية الانحطاط الحضارة الإسلامية وسقوط الخلافة و تشرذم العالم الإسلامي ، و بروز التيارات اللائكية الاندماجية في معظم الدول الإسلامية ، الرازحة تحت نير الاستعمار كالجزائر و المغرب و تونس . وأخذت الخصوصيات المغاربية محضة بتأقلمها مع واقع المجتمع المحلي الثري ، بتنوع ثقافاته المكتسبة عبر العصور و الحضارات المتعاقبة ، معلنة بذلك استقلالها عن كل نفوذ مشرقي أو تبعية بالفكر السياسي آنذاك ، مما ساهم في استقرارها و ترسيخ فكرها .[1]

ومع ظهور الإسلام الإصلاحي في العالم الإسلامي على كل من جمال الدين الأفغاني و محمد عبده و عبد الحميد بن باديس ، أصبح للطرقيين دور مزدوج يتمثل في مقاومة كل مساس بالإسلام التقليدي من جهة ، و المحافظة على قيم كل مدرسة على حدى من جهة أخرى ، علما أن الزوايا في الجزائر تنتمي كلها إلى المدارس الصوفية المشهورة : القادرية "الشيخ عبد القادر الجيلاني " و الشادلية " الشيخ أبو الحسن الشاذلي " و الخلوتية " الشيخ محمد الفارسي الخلوتي " .[2]

و قد بين الدكتور عمار طالبي في المدخل إلى الحياة العقلية و النهضة الحديثة في الجزائر من كتابه الذي تناول فيه الفكر الباديسي ، ازدهار الزوايا في القرن التاسع عشر بقوله : "لقد سيطرت الطرق الصوفية على الفكر الإسلامي و المجتمع ألمغاربي في القرن التاسع عشر ، سيطرة مذهلة ، فبلغ عدد الزوايا 349 زاوية ، عدد الردين أصبحوا بدورهم طرقيين

[1]:التصوف في بلاد المغرب ،بودواوية بلحيا ،دار القدس العربي للنشر و التوزيع ، ط1، 2009 ،ص21/19

[2]:المصدر نفسه،ص21

و مع شذوذ بعض الزوايا التي عرفت بدورها السلبي إلا أن الأغلبية الساحقة قاومن الاستعمار الفرنسي مند البداية الاحتلال مقاومة باسلة : الأمير عبد القادر (الشيخية) ، الشيخ الحداد و الشيخ المقراني (الرحمانية) ، و قد تواصلت هذه المقاومة إلى أيام الثورة المسلحة الكبرى .

و قد كان للزوايا دور فعال في تنشيط المجتمع و توجيهه الوجهة اللائقة ، بالرغم من تكالب النزعات المغرضة الهادفة إلى استمالتها و الاستفادة من نفوذها ، وفي نفس الوقت التشكيك في استقامتها بل و رميها بتحريف الدين و التعاون مع الاستعمار للحفاظ على مركزها ، الأمر الذي أدى على طول المدى ، إلى تشويه سمعتها و بالتالي تغيير نظرة العامة إليها .[1]

[1]:المصدر السابق،ص22

الفصل الثاني

المبحث الأول :

أبو مدين شعيب التلمساني

*سيرته و آثاره

*مسيرته الصوفية

*نموذج من شعره

المطلب الأول: سيرته و أثاره :

أبو مدين شعيب هو الإمام العارف بالله أبو مدين إنه شعيب الأنصاري أصله من الأندلس من "حصن قطنيانة "و هي قرية تابعة لأشبيلية .(1)[1]

كان والده الّذي توفي في عهد مبكر صاحب غنم ، ولم تكن الغنم من الكثيرة بحيث تسمح باستئجار راع لها ، وكان شعيب صغر إخوته ، فكلفوه أن يقوم برعيها و رعايتها ، وكانت هذه الأغنام تكلفه جهدا و تشق عليه و لكن الذي كان يحز في نفسه حقيقة هو أنه أثناء غدوة بها أو رواحه يرى أناسا يصلون ، و يرى أناسا يقرءون القرآن أو يتعبدون بالذكر ، فكان يعجبه منظرهم في هذا الخشوع ، و في هذا الأمل في ثواب الله و في جنته ، فيدنوا منهم و يستمع إليهم ، و لكنه في جهله لا يعي ما يقولون ، و يتحدث هو عن ذلك فيقول : " فإذا رأيت من يصلي أو من يقرأ القرآن أعجبني ، و دنوت منه ، و أجد في نفسي غما لأنني لأحفظ شيئا من القرآن و لا أعرف كيف أصلي " .(2)[2]

بعد ذلك عزم أبو مدين الرحيل إلى المغرب ، ووصل إلى طنجة ،لم يجد في طنجة ما بأمله من العلم و المعرفة ، فحزم أمرمه و أخد طريقه إلى مراكش ، و لما و صل إلى مراكش تعرف بالأندلسيين بها و ، فأخدوه في حملة الأجناد .

[1]: شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث حياته و معراجه إلى الله ،الإمام عبد الحليم محمود ، دار المعرف -كرنيش النيل –القاهرة-، دط ، ص 22

[2]: المصدر نفسه ،ص23

ولقد كان أبو مدين في هذه الرحلات و في هذه المهن: راعيا، صيادا، جنديا... يلاحظ و يتأمل و يدرس أخلاقا مهنية... و لكنه أيضا كان يلاحظ متعمدا أو غير متعمد مجتمعات و مدنا ، و كان كل ذلك يهيئه لحياة الداعية المستقبلية ، و يعطيه فكرة عن أنواع الطبائع و السلوك .(1)[1]

و لزم هناك جامع فاس و يقول في صدق : " و لزمت جامعها ، و تعلمت الوضوء و الصلاة " و كان ذلك حدثاً ضخماً في حياته ، أن يُصلي و أن يقف بين صاحب النعم التي لا تحصى ، يناجيه و يحمده و يشكره ، و يقدسه و يستمد من مدده ، و يسعدُ رُوحياً بأنه مع الله ، و بأن الله معه .

كان من أعلام العلماء و حفاظ الحديث خصوصاً جامع الترمذي الذي كان قائما عليه و رواه عن شيوخه ، عن أبي ذر ، و كان يلازم كتاب الإحياء و يعكف عليه ، و ترد عليه فتاوى في مذهب مالك فيجيب عنها في الوقت ،و له مجلس وعظ يتحكم فيه فتجتمع عليه الناس من كل وجهة .[2]

انتقل إلى المشرق فالتقى الشيخ عبد القادر الجيلاني و قرأ عليه في الحرم الشريف كثيراً من الحديث ، و ألبسه خرقة الصوفية و أودعه الكثير من أسراره .

استقر به المقام في بجاية و ازدادت شهرته فيها إلى أن وشى به علماء الظاهر (الفقهاء) عند يعقوب المنصور الموحدي ، فأوهموه أنه يخشى منه على الدولة فصادفت منه هذه السعاية من

---

[1]: المصدر السابق ،ص23

[2]: التصوف في بلاد المغرب العربي ،بودواوية بلحيا، دار القدس العربي للنشر و التوزيع تعاونية الهداية –وهران–، ط1: 2009 ، ص 11

نفسه هوى ، فكتب لأمير بجاية يوصيه أن يُعنى بحمله إليه كي يختبره في الشؤون الدينية ، و لما عزم الأمر على السفر شق على أصحابه فراقه وما سيؤول إليه أمره ، فطمأنهم بأن أجله قدحان، و لكن في مكان آخر .

فيسر الله له من يوصله إلى مكان وفاته، و أنه لن يرى هذا السلطان، فارتحلوا به حتى وصلوا إلى ضواحي العَباد، فقال لأصحابه: ما أصلحه للرقاد، فتوفي هناك بعد أن مرض بضعة أيام و ذلك سنة 594 هـ، و دفن في العباد –كما هو معلوم – و كان آخر كلامه: الله الحق .[1]

شيوخـــه:

وممن لازم و أخد عنهم ، الشيخ أبو يعزى بلتور (ت 572 هـ) ، و الشيخ أبو الحسن بن حزرهم (ت 559 هـ) الذي قرأ عليه الرعاية للمحاسبي و الشيخ أبو الحسن بن الغالب ، أخد عنه كتاب السنن للترمذي ، و الشيخ أبو عبد الله الدقاق و أخد عنه التصوف .

مؤلفاتـــــه:

بداية المردين، الأنس الوحيد ، تحفة الأريب ، ديوان شعره .[2]

[1]: انظر: نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطب ،للشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني ، ج8 ،مكتب و الدراسات –دار الفكر للطباعة و لنشر و التوزيع ، ط1: 1998.ص

[2]: :انظر: التصوف في بلاد المغرب العربي ،بودواوية بلحيا،ص

المطلب الثاني:

مسيرة أبو مدين الصوفية:

وكان مما قرأ لي أبي مدين كتاب " الرعاية لحقوق الله " الذي ألفه الإمام الحارث المحاسبي ، و درس أبو مدين بعد أن شرح الله قلبه على يد ابن حرزهم كتاب آخر في التذكير هو كتاب "إحياء علوم الدين " للإمام الغزالي ، و أيضا كتاب السنن في الحديث للإمام الترمذي ؛ و هو كتاب ضخم في أحاديث الرسول صلى الله عليه و سلم ؛ و هذا الكتاب درسه على الشيخ الفقيه أبي الحسن بن الغالب فقيه فاس .

أما العلوم الصوفية فبدأ أبو مدين دراستها على يد الشيخ الصالح أبي علي الدقاق و هو من كبار مشايخ الصوفية .[1]

و كان من الكتب المفضلة عند أبي مدين ، كتاب الرسالة القشيرية و هو كتاب ألفه الإمام القشيري .

وإذا كان أبو مدين قد درس الرعاية، و درس الإحياء، و درس علوم التصوف، فليس معنى ذلك أنه أصبح صوفيا... كلا ... إنه لا بد من الممارسة و السلوك و الأخذ في طريق المقامات و الأحوال .

تثقف أبو مدين في العلم فأصبح عالما، تثقف عن مصادر أصيلة: القرآن الكريم، السنن، الرعاية، الإحياء، الرسالة القشرية .

و درس الفقه و له فيه فتاوى نفيسة، و درس التفسير و امتزج قلبه بنور القرآن.

وكان عابداً فاجتمع له العلم و العبادة ، فكان الشخصية المتكاملة ، و لم يبلغ منزلة الشيخ إلا بعد جهد مضن في ركني المشيخة : العلم و العبادة .[2]

[1] : انظر: نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطب ،للشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني: ص220

[2] : شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث حياته و معراجه إلى الله ،الإمام عبد الحليم محمود، ص331

عرف عبر التاريخ الإسلامي و في كتب التراث ، ككتاب ابن قنفد و دائرة المعارف الإسلامية ، و شذرات الذهب للإمام الشعراني وفي كتاب الدكتور عبد الحليم محمود " شيخ الشيخ أب مدين الغوث " و جميعهم من العلماء ، و لذلك يُقال له شيخ مشايخ الإسلام وإمام العباد و الزهاد .

ومن أقواله المأثورة :

ليس للقلب إلا وجهة واحدة متى توجه إليها حجب عن غيرها .

و كان يقول أيضا : الغيرة أن لا تعرف و لا تعرف ، و أغنى الأغنياء من أبدى له الحق حقيقة من حقه ، و أفقر الفقراء من ستر الحق حقه عنه .

و من كلامه : من عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه ، ومن خدم الصالحين ارتفع ، ومن حرمه الله تعالى احترامهم ، ابتلاه الله بالمقت من خلقه ، و انكسار العاصي خير من صولة المطيع .

وقوله : من علامة الإخلاص ، أن يغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق .[1]

[1] :المصدر السابق : ص323

المطلب الثالث : نموذج من شعره :

لم يكن أبو مدين عالما و محدثاً و فقيهاً صوفياً فحسب بل كان شاعرا أيضا ، و له شعر جميل في اللفظ و التركيب و المعنى . و البعض منه يُغنى به و ينشد في محافل الذكر .

نص القصيدة:

1-مَا لَذّةُ العَيْشِ إلاّ صُحْبَةُ الفُقَـرَا هُم سَلاَطِينٌ و سَادَاتٌ وَ لأُمَـرا

2-فاصْحَبْهم وَ تَأَدَب فِي مجَالِسِهم و خِل حَظكَ مَهْـمَا قَدّمُوكَ وَرَا

3-وَاسْتَغْنِم الوَقْتَ وَاحْضُر دَائِمًـا وَاعْلَم بِأنّ الرِضَا يَخْتَصُ مِنْ حَضَـرَا

4-وَ لاَزِم الصّمْتَ إلاّ إنْ سُئِلْتَ فَقُل لاَ عِلْمَ عِنْدِي وَ كُن بِالجَهْلِ مُسْتَتِرَا

5-وَ لاَ تَرَ العَيْبَ إلاَّ فِيكَ مُعْتَـقِدَا عَيْبـاً بَـتدَا بَيِّناً لَكِنّهُ اسْتِتِـرَا

6-وَحُط رَأْسَكَ وَ اسْتَغْفِر بِلاَ سَبَب وَ قُم عَلَى قَدَمِ الإِنْصَافِ مُعْتَـذِراً

7-وإن بدا منك عيْبٌ فَاعْتَرِف وَأَقم وجْهَ اعْتِذَارِكَ كَمَا فِيكَ مِنْكَ جَرَى

8- قل عبِيدُكُم أَوْلَى بصفحـكـم فسَامِحُوا وَ خُذُوا بِالرِفْقِ يَا فُقَـرا

9-هُمْ بِالتّفَضُلِ أَوْلَى وَهُم شِيمَتُهُـم فلا تخف دركا منهم و لا ضـررا

10-وَ بِالتّغَنِي عَلَى الإِخْوَانِ جِدْ أَبداً حسا و معنى وغض الطرف إن عترا [1]

[1]:ديوان أبومدين شعيب،ص58

11-وَرَاقِب الشَيْخَ فِي أَحْوالِهِ فَعَسَـــى يرَى عَلَيْـــكَ مِنْ اسْتِحْسَـانِه أَثَـــــرَا

12-وَ قَدِّم الجِدّ وَانهَض عِنْدَ خِدْمَتِهِ عسَاهُ يَرْضَى وَحَـاذر أن تُرَى ضَجِـــرَا

13 -ففي رضاه رضا الباري و طاعته يَرْضَى عَلَيْـكَ فَكُنْ مِنْ تَرِكِـــهِ حَذِرَا

14-وَاعْلَمْ بِأَنّ طَرِيق القَوم دراســـةٌ وحـــَالُ من يدعيها ليوم كيف تـــــرا

15-متى أراهم و أنىّ لي برؤيتهـــتـــم أو تَسمعُ الأُذن منيّ عنهم خبـــــــرَا

16-مَنْ لِي و أنّى لمثلي أن يزاحمهـــم بمهـــجتي و خصوصـــاً منهم نفـــرَا

17-قومٌ كرَام ا لسَّجايا حيْثُمَاجَلَسُوا يَبْقَـــى المكَانُ عَلَى أَثَارِهِـم عطـــرَا

18-يُهدي التَّصَوُفُ مِنْ أحْلاَقِهِم طرَفَ حُسنُ التَآلُفِ مِنْهُـــمْ رَاقَنِي نَظَـــــرَا

19-هُمْ أَهْلُ وُدّي وَ أَحْبَابِي الّذين هم ممّـــن يجـــرُّ ديولَ العـــتزّ مفتخـــــرَا

20-لاَ زَالَ شَمْلِي بِهِـــم فِي اللهِ مُجْتَـــمعاً وَذنْبُـــنَا فِيـــهِ مغفـــــوراً و مغتفـــرا

22-ثُمّ الصّلاَةُ عَلَى المخْتَار سَيِّـــــدنَا مُحمّد خَـيْرُ مَنْ أَوْفَى و مـــن نـــدراَ[1]

[1]: المصدر السابق: ص59

المبحث الثاني :

محمد العيد آل خليفة

*سيرة محمد العيد الشخصية و الأدبية

*التجربة الصوفية عند محمد العيد

*نماذج من شعره

المطلب الأول :

سيرة محمد العيد آل خليفة

محمد العيد آل خليفة هو محمد العيد بن محمد علي بن خليفة من محامد سوف المعروفين بالمناصرين من أولاد سوف .

فأسرة محمد العيد تنحدر عن عرش المحامد و المناصر الّذين استوطنوا صحراء وادي سوف في زمن غير محدد ، قادمين إليها من ليبيا .

كان والده يمارس التجارة، و يكثر من العبادة، وقد ربحت تجارته فبنى مسجداً و علم أولاده، و لاسيما الطفل محمد العيد ،ففي العين البيضاء حفظ محمد العيد القرآن الكريم ، و هو في سن الأربعة عشر أو الخمسة عشر .

وواصل محمد العيد تعليمه الابتدائي في أحد مساجد بسكرة ، ثم تتلمذ على الشيخ علي بن إبراهيم الّذي أثر عليه تأثيراً ، وكان الشيخ بن إبراهيم قد تخرج من معهد الهامل (قرب مدينة بوسعادة الجزائر) و من جامع الزيتونة .[1]

و قد امتاز بتعمقه خاصة في علوم الفرائض و النحو و الفقه ، و لعلّ صلة الشيخ بمعهد الهامل و بالزيتونة كان لها الأثر على مستقبل تفكير التلميذ ، وميله نحو الدين و الزهد و حتى التصوف . وبعد دراسة دامت حوالي ثلاث سنوات على الشيخ المذكور، توجه محمد العيد إلى تونس لمواصلة دراسته في جامعها الأعظم.

حيث تتلمذ بجامع الزيتونة سنتين ثمّ رجع سنة 1923م إلى بسكرة ، و شارك في حركة الانبعاث الفكري بالتعليم و النشر في الصحف و المجلات (صدى الصحراء) للشيخ أحمد بن العابد

[1]: شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة .د أبو القاسم سعد الله . دار الرائد للكتاب –الجزائر–، ط:5 ، ص 22/21

العقبى ، و(المنتقد) و (الشهاب) للشيخ عبد الحميد بن باديس و (الإصلاح) للشيخ الطيب العقبي .[1]

وفي سنة 1927 م دُعي إلى العاصمة للتعليم بمدرسة الشبيبة الإسلامية الحرّة ، حيث بقي مدرساً بها و مديراً لها مدّة إثني عشر عاما ، وفي الفترة أسهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، و كان من أعضائها العاملين ، و نشر الكثير من قصائده في صحف الجمعية (البصائر ، السنة ، الشريعة، الصراط) . و كذا في صحيفتي (المرصاد و الثبات) لمحمد عبابسة الأخضري .[2]

وفي سنة 1940 م ، بعد نشوب الحرب العالمية الثانية ، غادر العاصمة الجزائرية إلى بسكرة ،

و منها دُعي إلى باتنة للإشراف على مدرسة التربية و التعليم إلى سنة 1947م ، ثم عين مليلة لإدارة مدرسة العرفان إلى 1954م ، و بعد اندلا ع الثورة الكبرى أغلقت المدرسة و ألقي القبض عليه و زج في السجن ، وامتحنته السلطة الاستعمارية بعد إطلاق سراحه بمحنة غاشمة و فرضت عليه الإقامة الإجبارية ببسكرة ، فلبث بها معزولا عن المجتمع تحت رقابة مشدّدة إلى أن فرج الله عليه و على الشعب الجزائري بالتحرير و الاستقلال .[3]

توفي في 7 رمضان 1399 هـ الموافق ل 31-07-1979 م بمستشفى باتنة ، و دُفن في بسكرة رحمه الله .

---

[1]: شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة .د أبو القاسم سعد الله ،ص23

[2]: نفسه ، ص 33

[3]: الشعر الجزائري المعاصر (شعر ما قبل الإستقلال) –مجلة أدبية ثقافية –تصدرها وزارة الثقافة ص 52/51

المطلب الثاني :

التجربة الصوفية لدى محمد العيد آل خليفة

إن الدارس لشعر محمد العيد لا ينتظر أن يعثر على نماذج غارقة في تصوف حلولي ، فالشاعر عاش تجربة التصوف من خلال المناجات الروحية التي تأتي في رحلات تموج بالابتهال الّذي يرسله صيحات إيمانية ، يناجي بها خالقه المنقد من زيف الدنيا و ضلالها ، الهادي إلى حياة ملؤها النور والحق و الصدق .[1]

تبدو شخصية محمّد صلى الله عليه و سلّم من خلال نداءات يستعين بها الشاعر في علوية ،قصد شفاعة مرجوة ، ومقام يبتغيه بجوار المصطفى عليه الصلاة و السلام .

و ليس غريب على الشاعر محمد العيد الّذي لا يمارس التجربة في هذا العالم إلاّ مؤمناً متمسكًا بالكتاب و السنة ، بعيدا عن غلو المتصوفين ، لقد عاصر الشاعر المرجعية الصوفية من خلال أبيه الّذي كان مقدما للطريقة التيجانية .

يقول محمد العيد في معرض كشفه لماهية التصوف عنده : "إنّ هذه الصوفية لا أستطيع دفعها ، وهي صوفية معتدلة تقوم على الكتاب و السنة ، وهي لذلك تلتقي مع الفكرة الإصلاحية التي تقوم على الأصول نفسها ، وإن شئت بيانا أكثر ... قلت لك أنّني تمثل في صوفيتي بقول أحد الأئمة وهو :

أنّي لا أقبل أي خاطر من الخواطر الصوفية إلاّ شاهدي عدل هما : كتاب الله و سنة رسوله ، و هذا القول هو شعاريَ في صوفيتي " .[2]

فلصوفيته مرجعية معرفية و روحية تترى وفق الإسلام ، ووفق ما دأب عليه علماء الإسلام الأتقياء .

---

[1]: دراسات في الشعر الجزائري المعاصر ، د عمر أحمد بوقرورة ،دار الهدى للطباعة و النشر ، – عين مليلة الجزائر– ،دط، ص:102

[2]: المرجع نفسه ، ص:103

فالشاعر إذن لا علاقة له بصوفية تداخلت في تراثنا مع ثقافات الأمم الأخرى ، فاكتسبت غلوا و شطحا و آلت إلى إنحراف عقيدي بدت آثاره واضحة في أشعار المتصوفة القدماء ، هكذا يكون حديثنا عن تجربة التصوف عند محمد العيد ، و هي التجربة التي تبدو في عوالم تشكلت وفق طابع تصاعدي بداياته تأمل و نهاياته عزلة و تصوف .[1]

[1]: المرجع نفسه.ص104

المطلب الثالث: نماذج من شعره

1- عالم التأمل :

لا يستطيع الشاعر أن يكون شاعرا إلاّ إذا ملك أسباب الإبداع التي تؤهله للخوض في عوالم يصوغها بعيدا عن المألوف ، و لا يكون الشاعر مسلما معتقدا إلاّ إذا ملك أسباب الروح التي تمحه رحلات علوية إيمانية ينشئها لنفسه ،يقول محمد العيد :

وَمَا الشعْرُ إلاّ شعورٌ سمَـا خَيَلاً بِإِحَائِـهِ السَـــــاحِر

يَهُزُ النُفُــوسَ بِتَيَـــــارِهِ فَتَسْمُوا إِلى الأَوْجِ كَالطّائِـرِ

وَتَسْبَح فِي عَالِمِ شامـــخٍ علَى الأَرْضِ مِنْ أفكها الطَاهِر [1]

بهذه السمة الإيمانية ندخل عالم التأمل لدى محمد العيد و هو عالم علوي مؤيد ببدايات شعرية سائلة رافضة يزكيها زمن الشباب المؤيد بثقافة وطنية دينية.

في ظل هذا الزمن الخاص كتب محمد العيد أشعار التأمل التي تزكيها أسئلة حيرى منها :

لماذا هذا الظلم و الاستبداد الّذي حمل لوائها أبناء فرنسا ؟ و لماذا لا تحيا الكينونة أو الذات في ظل عزها العربي الإسلامي ؟ ولماذا ثقل الدنيا بشر و كفر و جحود و طغيان ... ؟ و لماذا هي بضادياتها المذهلة ، و بمفارقاتها المحيرة ؟ أسئلة لا حصر لها يحملها وجدان شاعر يعاني الغربة الروحية.[2]

[1]: ديوان محمد العيد آل خليفة ، ص :12

[2]: الشعر الجزائري المعاصر (شعر ما قبل الإستقلال) –مجلة أدبية ثقافية – ص:106

و التأمل الحائر عند محمد العيد ذو بدايات أرضية متسامية تترى وفق رؤية متوترة تناقضت من حولها الأزمان و الألوان و الأشياء هكذا نقرأ في قصيدته "يا دار " .

بِيضٌ وَ سُودٌ وَ أَخيَار وَأَشـــــــرَار كَم تحتوينَ عَلَى الأَضدَاد يَا دَار

العَرشُ وَ الفَرْشُ و الأَحْداثُ بَيْنَهُمَا خَيْرٌ و شَـــرٌ فَإِقْلاَلُ و إِكْثَــار

وَ اللّيْلُ و الصُبْحُ وَ الإِنْسَان عِنْدَهُمَا نَعْسَانٌ مُسْتَيْقِظ وَ المِاءُ و النَّــارُ[1]

ومع هذا الكم المتأمل الماثل في الدنيا في أضدادها ، إنّما هو صراع الّذي يشكل في الحقيقة تلك البدايات الروحيّة التي آلت بمحمد العيد إلى عوالم إيمانية . [2]

[1]: ديوان محمد العيد آل خليفة ، ص :14

[2]: المرجع السابق ، ص:106

2 –عالم الزهد :

و قد تعجب لشاعر يعيش وسط صراع مادي و عقلي ، شعر في الزهد و الروحانية ، وقد حفل شعره بكثير من الأمثلة الجيدة في هذا الموضوع الّتي تستوحي عظمة الأقدمين و تستند إلى ما قالوه في الزهديات .

ومن زهد محمد العيد المشهور هذه الأبيات الذي سمّاها (دنياك أصل ضناك) و فيها يقول :

أرى دُنْيَـــــاك تعفُـو كلَّ عَيْـــن بهَاو وَ تَجُـرُ لِلْأَثَرِ العَفَـــــاءَ

فَلاَ تَطْلُب صَفَاءَ العَيْـشِ فِيـــهَا أَفِي الكَدَرَاتِ تَلْتَمِسُ الصفَاءَ ؟

و لا يغـررك حــلف ما بينـــهما فَلَسْتُ أَرَى لِأَكْثَرِهِم وَفَـــاءَ

قـــَدْ اخْتَارُوا الظُهُـورَ بَهَــا وَ لَوْلاَ فسَادُ الرَأْيِ لاخْتَارُوا الخَفَـــاء [1]

فهو يرى أن كلّ شيء في هذه الحياة سوف يدركه الفناء وأنّ دنيانا دائمة الكدورة، و يتعجب ممّن يطلب فيها راحة النّفس وهناء العيش .

ومن زهدياته كذلك ما قاله على لسان ابن آدم من أنّه خلق كالملاك حسناً و تصويراً و كالعاهل نفوذاً وسطوةً و لكنّه مع ذلك يعمل على إخضاع كلّ شيء إليه ، و التمتّع بكل عيش رغد و النفور من كلّ ما ينغص عليه هذا العيش ، و لعلّ هذا من جيّد الزهد لأنّه لم يتحدّث عن الدنيا و الآخرة ، و الترغيب في الموت مباشرة كما كان يفعل بعض الزهاد الأقدمين . [2]

[1]: ديوان محمد العيد آل خليفة ، ص :329

[2]: شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة .د أبو القاسم سعد الله ،ص 162 /163

أَنَا المِـرْءُ في مِثْلِ خَلْــقِ الملاَك أَنَا العَبْدُ فِي صُورَةِ العَـــــاهِلِ

أنا الهَيْكَلُ الآهِلُ العَرَصَـــــاتِ فَحَـدِّث عَن الهَيْكَلِ الآهِـــل

أنَا النَاهِـــلُ المسْتَـــلِّذُ الحَيَـــاةَ وَإِنْ دُسَت السُّـــــم لِلنَاهِـــل

ذُهِلْتُ عَنْ المَوْتِ وهُوَ اليَقِيـــن وَ لَسْتُ عَنْ العَيْـشِ بِالذَاهِـل

لِظُلْمِي وَجَهْلِي اقْتَحَمْتُ الصِعَاب فويحى مِنْ ظَالِم جَاهِـــــــل [1]

وفي الزهد نماذج بررت سنن للعالمين سبيل النجاة وهي النماذج الماثلة في الأنبياء و المرسلين ، و العلماء المخلصين ، و بها يقتدي محمد العيد في زهدياته :

فَكُـن أَبَدًا مَعَ الأَبْـرارِ وَاجْنَـح لِهُدَى إِمَامِـــــهِمْ فَهُوَ المثَـــالُ

رَسُولٌ سنَّ ســـــنّتهُ طَرِيـــقاً مُعبَّـــدة يُتاحُ لهـــــا الوُصُـول

ولاَ يَفْتنُـــك فِي الدُنيَا هَوَاهَـــا وَ زخـــرفاً فأَكثـــرهُ ضَـــلاَلُ

و كَيْفَ تَسِيـــرُ فِي الدُنْيَا خُلُودَا وَعَنْ قُرْبٍ تَسِيـــرُ بِكَ الرِّحَـــالُ

دَعِ الدُنْيَا و زَخْرَفَهَـــا وَاعْـــرَج إِلَى الأُخْـرَى هَـــوَى فَهِيَ المآلُ[2]

وفي زهدياته لا ينسى أبداً أن يوجه الخطاب إلى نفسه فهي أولى بسلوك روحي يجب أن تسلكه.

[1]: ديوان محمد العيد آل خليفة ، ص :349

[2]:المصدر نفسه ،ص،351

هَجِدتُ فَضَاعَ حَظِي فِي جُهُودِي وَلَمْ أَقْض اللّبَانَةَ مِنْ وُجُـــودِي
رَقِدْتُ فَضَاعَ فِي الأَحْلاَمِي عُمْرِي كَذَاكَ تَضِيعُ أَعْمَارُ الرقـــــود
أُؤْمِلُ أَنْ أَرَى حَظِـــي كَبِيـــرًا مِن الحُسْنى و نَجْمِي فِي صُعُودِ
وَ تَنْأَى بي عَنْ الآمالِ نَفْسٌ تَنُوء بـتروزهـــا تحْـتَ القُيُـــــودِ
فيَا نَفْسِي عَنْ الكَدَرَاتِ عفـــي وَعُودِي لِلصَفَاء المِحْض عـُـودِي[1]

و يمكننا أن نقول أنّ روح الزاهد الورع قد تقمصت هذا الشاعر و لذلك سيطرت على كثير من إنتاجه و ظهرت حتى في أبعد الموضوعات في الزهد .

[1]: المصدرالسابق، ص300

3-عالم العزلة :

يعاني الكثير من الأدباء و الشعراء و أولي الرأي الثاقب في واقع يجبرهم على الانتماء المشكل في الفكري و السياسي...المزيف وفي المعانات يحاول هؤلاء أن يجدوا لأنفسهم صوامع يفرون إليها هروبا بعقيدتهم و فكرهم فيعتزلون فيها ، ويمارسون من خلالها حياتهم وفق روح تصعد بهم راجية النقاء و الطهر، متمنية الخلاص من شوائب البشر و من رجسهم ، و كذلك فعل محمد العيد في عزلته الطويلة التي امتدت لفترات طويلة شملتها ثلاثة مراحل .

-المرحلة الأولى :و تأتي بعد الحرب العالمية الثانية ولها أسبابها الّتي نجمل ظاهرها فيما يلي :

1- يكمن السبب الأول في ميل الشاعر الفطري نحو العزلة و التّصوف ، قال عنه ربيبه في الشعر و في الإصلاح أحمد سحنون : "إنّ محمد العيد رجل صوفي و من شروط الصوفية الاعتزال " . و يعبّر الشاعر محمد العيد نفسه عن هذا الإحساس الاعتزالي[1]

بقوله:

ظَنَنْتُ فِي النَّـــاسِ خيرًا فَخَابَ ظَنّي وَ خِبْـــتُ

كَمْ قُلْتُ كســـــر كَثِيرًا فِي مَدْحِهِـــــم وَ كَتَبـْتُ

لَقَد كَذَبْتُ فَحَسْـــــبي في شـــأنهم مـــــا كذبت

وَلَيْـــت وَجْهَكَ نَحْـــوِي وَتُبْتُ يَـــارَبْ تُبْـــت [2]

[1]:دراسات في الشعر الجزائري المعاصر ، د أحمد بوقرورة ، ص115

[2]: ديوان محمد العيد آل خليفة ، ص 331

و تصحب هذا الإحساس أسباب نفيسة و روحية ذكرها الدكتور أبو القاسم سعد الله و منها أنّ الشاعر محمد العيد " قد تعرض لتجربة قاسية جعلته في حيرة و شك ..." و أنّ " الجو تكدر بينه وبين من لم يقدروا جهاده و فنه فخاب أمله ،و اعترته أزمة أثرت عليه تأثيرا حادا جعلته يصمت حينا ثم يتّجه اتّجاها صوفياً بشعره ويختار الهروب من الناس و الأصدقاء "

الفتور الّذي لحق بنشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، بعد وفاة زعيمها عبد الحميد بن باديس (ت 1940) و الّذي صاحبه تفكك بدأ في منهج بعض رجال الجمعية ، و كذلك إلى الخلافات التي أجّجها الصراع بين زعماء الحركات الوطنية .[1]

و الملاحظ أنّه مع عزليته هذه ازدادت قدرته على نظم القصائد التي تشعُّ بأنوار حياته الرّوحية الدّينية ، و تعكس مقدرته الفنية الإبداعية .

[1]: دراسات في الشعر الجزائري المعاصر ، د أحمد بوقرورة ،ص116

الخاتمة

الخاتمة

وبعد هذه الوقفات المتأنية أمام خصائص الشعر الدّيني في مرحلتين متمايزتين من المراحل التاريخية الجزائرية، توصلنا إلى مجموعة من النتائج و هي:

-لقد عبّر الشعر الدّيني عن وِجدان أصحابه و عن العقيدة الروحية للمجتمع، فبالدين استطاع الفرد الجزائري أن يحقق ذاته و استطاع الشعب أن يَقف أمام السيطرة الاستعمارية التي حاولت القضاء على شخصيته العربية الإسلامية.

- إنّ تمسك الشعب الجزائري بالدّين و بمختلف طبقاته الاجتماعية قد جنّبه المسخ و التغريب وأذكى في ضميره حبّ الحرية الّتي تشكل في الواقع مبدأً من مبادئ هذا الدّين الحنيف.

- لقد عُني الشعر الصوفي قديما بقضايا تقليدية تتصل بالدّين و لكنّها لا تمُس جوهره و حقيقته، مثلما وقفنا عليه مع نماذج في شعر أبي مدين و ذلك الحديث على عكس الشعر الإصلاحي الّذي يعد خطوة متقدّمة من حيث المضمون، فقد اتّسم بالنقد و الهجوم على الواقع، و حاول فيه الشاعر أن يبحث عن للمجتمع عن مخرج و يدلّه على طريق النهضة و التقدم، كما هو الحال في شعر محمد العيد آل خليفة.

-إنّ الشعر الدّيني الجزائري بغض النظر عن محتواه هو نتاجٌ أدبيٌّ عبّر عن قضايا أصحابه في قوالب فنّية بديعة، فقد أبقى على التراث الأدبي العربي في الجزائر و أيضا أضاف قِيماً أدبية و إنسانية إلى أدبنا.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

* المصادر:

- التصوف في بلاد المغرب العربي ، بودواوية ، دار القدس العربي للنشر و التوزيع ،ط
- ديوان محمد العيد آل خليفة ، ط1، الشركة الوطنية للنشر و التويع ،الجزائر1967

ديوان أبو مدين شعيب التلمساني

- شيخ الشيوخ أبومدين الغوت و معراجه إلى الله ، الإمام عبد الحليم محمود ، دار المعارف – القاهرة

-نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطب ، التلمساني أحمد بن محمد المقري ، مكتب البحوث و الدراسات ،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ط/ا:

* المراجع :

- الحركة الوطنية الجزائرية ، أبو القاسم سعد الله ، دار المعارف – بيروت – ط1/
- دراسات في الشعر الجزائري المعاصر (الشعر و السياق المتغير الحضاري) ، د. أحمد بوقرورة ، عين مليلة –الجزائر –، دار الهدي للطباعة و النشر ، دط
- الشعر الدّيني الجزائري الحديث ، عبد الله الركيبي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع-الجزائر-ط/1981
-الشعر الجزائري الحديث ، صالح الخرفي ، المؤسسة الوطنية لكتاب –الجزائر – ت
- شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة ، أبو القاسم سعد الله ،دار الرائد للكتاب
- قضايا عربية من الشعر الجزائري المعاصر ، . عبد الله الركيبي ، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر و الترجمة .
- القصة القصيرة في الأدب الجزائري المعاصر، عبد الله الركيبي ، دار الكتاب العربي – القاهرة – ت/
- شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة ،أبو القاسم سعد الله ، دار الرائد للكتاب – الجزائر –

*دوريات و منشورات

الدراية فيمن عرف من العلماء ، تحقيق عادل نويهض – بيروت – منشورات دار الآفاق الجديدة ، دط ، .

-الشعر الجزائري المعاصر (شعر ما قبل الاستقلال) ، مجلة أدبية تصدرها وزارة الثقافة ،

الفهرس

- **شكر و تقدير**
- **إهداء**

-**المقدمة**.....

-**التمهيد**:الدّين في الشعر الجزائري.....

❖ **الفصل الأول**

- المبحث الأول: النزعة الدّينية في الشعر الجزائري.....
  - المطلب الأول :الأسباب ظهورها :.....
- المبحث الثاني: ماهية الصوفية وظروف نشأتها:.....

-المطلب الأول:الشعر الصوفي و أعلامه في الجزائر:.....

أ-ماهية الشعر الصوفي :.....

ب-نشأته و أعلامه:.....

ج-عوامل ازدهاره:.....

❖ **الفصل الثاني**

- المبحث الأول : أبومدين شعيب التلمساني

أ-سيرته وأثاره:.....

ب-مسيرته الصوفية:.....

ج- نموذج من شعره:.....

- المبحث الثاني: محمد العيد آل خليفة

ا-سيرته الأدبية و الشخصية:.....

ب-التجربة الصوفية عند محمد العيد:.....

ج-نماذج من شعره:.....

❖ الخاتمة:.....

❖ قائمة المصادر و المراجع:.....

الفهرس

شكر و تقدير

إهداء

-**المقدمة**..... ا-ب

-**التمهيد** :..... 1

❖ **الفصل الأول**

➢ المبحث الأول: النزعة الدّينية في الشعر الجزائري

- المطلب الأول :الأسباب وعواملها :..... 2

➢ المبحث الثاني: ماهية الصوفية وظروف نشأتها:

-المطلب الأول:الشعر الصوفي و أعلامه في الجزائر:

أ-ماهية الشعر الصوفي :.....6

ب-نشأته و أعلامه:.....8

ج-عوامل ازدهاره:..... .....10..

❖ **الفصل الثاني**

➢ المبحث الأول : أبومدين شعيب التلمساني

أ-سيرته وأثاره 12

ب-مسيرته الصوفية.....15

ج- نموذج من شعره.....18

➢ المبحث الثاني: محمد العيد آل خليفة

ا-سيرته الأدبية و الشخصية.....19

ب-التجربة الصوفية عند محمد العيد.....22

ج-نماذج من شعره:.....24

❖ الخاتمة:.....31

❖ قائمة المصادر و المراجع:.....32

الملخـــص:

تناول الشعر الجزائري الكثيرة من الموضوعات المتعلقة بالجانب الدّيني قديما و حديثا . ولذلك ستعكف هذه الدراسة على استجلاء الخصائص الشكلية و المضمونية للشعر الدّيني الجزائري من خلال نموذجين و هما أبو مدين شعيب و محمد العيد آل خليفة .

Abstract

The Algerian poetry tackles many topics related, to the religious aspect in the past and modern eras.
Therefore, this study concentrates on clarifying the characteristics Both inform and content of the Algerian religious poetry through two models which are Abou Mediene Chouaib and Mohamed El Aid El Khalifa.

Résumé

La poésie algérienne traite beaucoup de sujets reliés à l'aspect religieux dans le temps passé et dans la période moderne.
Donc, cette étude se concentre sur la clarification des caractéristiques concernant la formé et le contenu de la poésie religieuse algérienne à travers deux modèles qui sont Abou Mediene Chouaib et Mohamed El Aïd Al Khalifa.